فن القصـــــة
فى الأدب المصرى الحديث

[تتمة ما نشر فى العدد الماضى]

للأستاذ هلال أحمد شتا

ويلاحظ المتتبع لتاريخ القصة المصرية أن ثلاثة من كتابها الأفذاذ قد تنحوا عن الجهاد فى سبيلها أوكادوا ، وبقى واحد فرد يحاول ما يستطيعه الواحد الفرد . . فلقد أقبل هيكل على ميدان آخر يشحذ له قلمه وحسه ، هو ميدان الصحافة والبحث العلمى والدينى والسياسة ، وانهمك أبو حديد فى عمله التعليمى ودراساته التاريخية ، وذهب تيمور مذاهب أخرى فى الدراسة والأدب ... ثم بقى المـازنى بعد ذلك يسير فى طريقه سيراً هادئاً ، ويخص القصة ببعض عنايته ، بقـدر ما تتحت أعماله الصحفية ، وما أفسحت لفنه من مجال قصير

ولقد كان هذا مما أوقف القصة المصرية العربية الناشئة موقفاً نشفق منـه عليها ، وما زالت فى عهد الصبا تنشد الرعاية والعناية ؛ ولـكن فريقاً آخر من الشبان قد أقبـل يمد لها يداً مباركة نرجو أن تدفعها إلى عهد الشباب قوية سريعة الخطوات

ومن بين هذا الفريق ثلاثة نلمح فيهم استعداداً كثيراً ، وفناً غزيراً ، وهم : محمود البدوى ، وشوكت التونى ، وطاهر لاشين

فمحمود البدوى ، الذى عرفناه مترجماً للقصة الروسـية القصـيرة على صفحات الرسالة الغراء ، قد آنس فى نفسه قدرة على الـكتابة ألهبت شغفه وشحذت عزيمته ، فاذا هو يدفع إلى ميدان القصة كتابيه « الرحيل » و « رجل »

والذى يعرف البدوى فى هدوئه وصمته ، وبعده عن مجالات الأدباء والـكتاب ، قد يستولى عليـه عجب ، حين يرى اهتمام الـكتاب بأمر كتابيه وتهافتهم على نقدهما وبحثهما . . ولـكن الذى يعرف البدوى من ثنايا سطوره ، لا يرى عناء كبيراً فى أن يعرف الدافع الشريف الذى حمل هؤلاء الـكتاب على العناية بفنه وأدبه

وقد تتلمذ البدوى على المدرستين الروسية والإنجليزية ، فكان مزاجا منهما معاً ، ثم أضاف الى ذلك شخصيته التى استقل بها ، فكان قصصياً موفقاً . وأميز صفاته أنه مخلص لفنه إخلاصاً شديداً حتى ليكاد يعجز عن أن يزاول سواه ، لأنه استغرق كل تفكيره واستبد بجميع جهوده ، وسيكون لنا منه من يمد فراغاً عزيزاً

وشوكت التونى قصصى موهوب ، وكاتب قادر ، غير أنه كاد يسىء الى فنه إساءة بالغة ، حين صمت عن الـكتابة صمتاً غير محمود ، متفرغاً لدراساته القانونيـة وقضاياه . . ولو لم يغمره — منذ قريب — نشاط أدبى نعرفه ، لفقده عالم القصة آسفاً أسفاً شديداً ، لأنه يعرف فيه ما يدفعه الى التشبث به .. وقد يمحو آثار صمته الطويل أنه أقبل اليوم قوياً بدراساته وميله بعد انقطاع عن الفن الذى يحبه ويقدسه .. وسوف لا نغفر له — بعد ذلك — صمتاً أو تحولاً . لأن الفن الذى فقـد رجاله أو كاد ، فى حاجة شديدة الى الشباب يشد أزره

وطاهر لاشين قصصى مصرى بديع التكوين ، قد بلغ بفنه وأدبه منزلة جليـلة ، ومجهوده فى سبيل القصة المصرية كبير ، وأسلوبه العربى سليم أنيق ، نقى البيان لا يحب الاسفاف ، ونأمل فيه خيراً كثيراً . . ونشكر له ما أسـدى . . وما سوف يسدى إن شاء الله

* * *

أولئك وهؤلاء هم المحسنون إلى القصة المصرية إحساناً محموداً الجديرون بالذكر والشكر والاعتراف بالجميل . . . ولـكن طائفة كبيرة ، غير محدودة ولا محصورة ، قد أقبلت منذ سنوات ترمى القصة المصرية العربية بالاساءة المرذولة ، وتفتح فيها فتحاً قديراً على أن يهلـكها ويحطمها تحطيماً . .

وهؤلاء الذين يتخذون من كتابة القصة تجارة ورزقاً ، ويسوقون إلى الميدان كل يوم عملاً جديداً ، قد فقد تتاجهم كل فن أو طرافة أو توفيق ، ولـكنه لم يفقد القراء أو الضالين من المتأدبين ، وهذه هى الاساءة التى تؤلمنا ألماً مراً وتحز فى صدورنا حزاً موجعاً . .

نعم . . فقد استطاع بعض هذا النفر ، أن يجعل من تتاجه المشوش مدرسة يسير تلاميذها على طريقته الملتوية التى لا تؤدى

إلى فلاح ، فأفسد بذلك الذوق الأدبي ونال منه ، وألحق بالفن خسراناً مبيناً

والذى يقرأ اليوم هـذه القصص التجارية التى يحفل بها المجلات والـكتب ، ناشداً منها تسلية أو اتلافاً للوقت ، لا شك يخرج من قراءته وقد خسر وقتاً حقيقاً بألا يمثر ويبعث به ، ويتأثر — بعد ذلك — بما قرأ تأثراً قد ينال من تفكيره ، وقلمه ، وذوقه جميعاً .

ولسنا نقصد بالقصة التجارية القصة المترجمة وحسب ، بل إننا نقصد المترجمة والموضوعة على السواء ، لا بل ونعنى الموضوعة باهتمام خاص .. فلقد سار كتابها اليوم على طريق لا ندرى إلى أية هاوية تصل بهم وبقرائهم ، حين أدخلوا فى قصصهم نوعاً من الأسلوب نستطيع أن نسميه « أدبا خليعاً » ، وهو مزاج من العامية الرخوة ، والعربية المهدمة ، والفرنسية التى يتحدث بها خليعات النساء

هذه هى المحنة التى تهدد اليوم فن القصة فى مصر ، وأعترف أنى عاجز عن أن أصف لها دواء ، فلا أقل إذن من أن أدعو الأدباء والـكتاب إلى أن يعلنوا عليها حرباً عواناً تقتلها أو تخرجها عن ميدان الأدب خاسرة ...

* * *

ولا يمنعنى هذا من أن أضع أمام أعين الشباب مثلا للقصصى كيف يكون ، عسى أن أبلغ بهذا الذى أقول أملا طالمـا نشدته وسعيت اليه ، وهو أن يقبل الشباب على ما يستأهل العناية ، وأن يعرض عما يصل بذوقه الفنى والأدبى إلى هاوية ليس لها من قرار ..

وأعتقد أن القصصى يجب أن يكون جامعاً لجوانب خمسة ، غير فاقد منها شيئاً

وأول هذه الجوانب : أن يكون عربى اللفظ والأسلوب ، أديباً قوى البيان مشحوذ القلم واللسان ، وأن يكون حريصاً على عربيته معتزا بها عاشقا لها أميناً عليها

وثانيها : أن يكون فناناً بطبعه موهوباً ، قادراً على تصوير كل ما يحيط به وبأبطال قصصه من أجواء الطبيعة ومشاهدها وكل ما يعمر نفوسهم من شعور ، أو ينتابها من أحاسيس ، أو يتكون فيها من عواطف .. وكل ما يجول بأذهانهم من خواطر ، أو يحتدم فى صدورهم من رغبات

وثالثها : أن يكون على حظ من الثقافة موفور ، واسع الاطلاع مجرباً ، قد لمس بيديه كثيراً من الحقائق ، وأوغل بنفسه فى جوانب الحياة وحواشيها

ورابعها : أن يكون متنبه الحواس يقظاً ، مغذياً لميله الفنى ، سائراً فى ذلك على نهج قويم ، لأن الميل الطبيعى لا يورق ويؤتى ثماره بغير مران وتنمية ، والفن الجيل يقوم على عمادين من الدراسة والميل ، ولا يقوم على واحد منهما . .

وخامسها : أن يتميز بشخصية مستقلة ، وأن يكون ذا خيال واسع لا يضيق أمام قلمه وبيانه ، وما ينشدانه من بلوغ إلى بعض الحقائق . .

* * *

والقصة التى يكتبها كاتبها فى أسلوب عربى مبين ، والتى تحمل إلى قارئها صوراً صادقة — طبيعية ونفسية — والتى تترجم دقائق الحياة وبسائطها فترفع للذهن قطعة من صميم الوجود ، والتى يفيض من بين سطورها جمال يهز مشاعر عشاق الجمال ، والتى تنتصر فيها حقائق على حقائق ، هى القصة الـكاملة التى نريدها . والتى نرجوأن يوفق إلى إخراجها منشئو الجيل الجديد ..

* * *

وبعد — فقد بلغت بحمد الله نهاية البحث ، بعد أن تراقصت أمام عينى الخواطر والأفكار ، وأرجوأن أكون قدذهبت فيماقلت مذهباً حقاً ، لا يخاصم العرف الأدبى الذى كسبه الذوق الحديث من بلاغة أبناء العرب وتراثهم الفكرى ، ومن دراسات جديدة وفق فيها أبناء الغرب توفيقاً عظيما ..

وهذا تاريخ موجز للقصة المصرية العربية ، وما أثر فيها فأحسن إليها أو أساء إلى يومنا هذا .. فأما مستقبلها فأخشى أن يذهب بها إلى موضع لا يرضاه المصريون أو الشرقيون . وأرجو — من الأعماق — أن تجد القصة من يرفعها وينهض بها ، وهو أمر ليس باليسير ، وإنما يحتاج رجالاً أشـداء عاملين مخلصين . . ولسنا — والحمد لله — فقراء من الرجال . .

هلال أحمد شتا
سكرتيرة مجلس الشيوخ